

Pilgrims in the Poetry of Al - Mutanabbi Study in the Effectiveness of Pilgrims

Abbas Hassan Al Tayyar
Directorate of Education in Babylon
Abbas_Hassan@yahoo.com

Abstract

The parliamentary studies on several pillars, the most important of which is the pilgrims, the speaker uses various mechanisms, whether rhetorical or semi-logical to influence and convince others, and often comes the speaker (poet or other) arguments broadcast in his speech, and then classifies and arranges a logical arrangement must The speaker is familiar with the recipient's qualifications and intellectual, emotional and religious culture, and may invoke special compositions in order to persuade him, because persuasion is one of the highest functions of language, whether the meaning of the speech is real or imagined. And pilgrims effective effectiveness in others, both guidance and evaluation.

Keywords: Pilgrimage, Persuasion, Influence.

الْحِجَاجُ فِي شِعْرِ الْمُتَنَبِّي دِرَاسَةٌ فِي الْفَاعِلِيَةِ الْحِجَاجِيَّةِ

عَبَّاسُ حَسَنُ الطَّيَّارِ
مَدِيرِيَّةُ تَرْبِيَّةِ بَابِل

الخلاصة

قامت الدراسات التداولية على أركان عدة، أهمها الحجاج وفيه يعمد المتكلم إلى استعمال آليات متنوعة سواء أكانت بلاغية أم شبه منطقية للتأثير في الآخرين وإقناعهم، وفي أغلب الأحيان يأتي المتكلم (الشاعر أو غيره) بحججه التي يبثها في خطابه، ثم يصنفها ويرتبها ترتيباً منطقياً فلا بد أن يكون المتكلم عارفاً بمؤهلات المتلقي وثقافته الفكرية والعاطفية والدينية، وقد يحتج بتراكيب خاصة من أجل إقناعه، لأن الإقناع من أسمى وظائف اللغة، سواء أكان المقصود بالخطاب مرسلًا إليه حقيقياً أم متخيلاً. والحجاج فاعلية مؤثرة في الآخرين بنوعيه التوجيهي والتنقيمي .
الكلمات المفتاحية: الحجاج ، الإقناع، التأثير.

مدخل الدراسة :

المبحث الأول: الحجاج وأنواعه.

أولاً: الحجاج في اللغة والاصطلاح:

الحجاجُ في اللغة: جذرٌ لفظة الحجاج مرتبطٌ بالمجادلة، جاء في اللسان: ((وَالْحُجَّةُ الْبُرْهَانُ وَقِيلَ الْحُجَّةُ مَا دُوِّعَ بِهِ الْخَصْمُ))^(١)، قال ابن سيده: ((الْحُجَّةُ: مَا دُوِّعَ بِهِ الْخَصْمُ، وَالْجَمْعُ حُجَجٌ وَحِجَاجٌ. وَحَاجَهُ مُحَاجَةً وَحِجَاجًا: نَازَعَهُ الْحُجَّةَ. وَحَجَّهُ يَحُجُّهُ حَجًّا: غَلَبَهُ عَلَى حُجَّتِهِ.))^(٢)، فالحجاج مرتبط بغلبة المتكلم للمتلقى وظفره على خصمه، قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): ((يُقَالُ حَاجَجْتُ فُلَانًا فَحَجَجْتُهُ أَي غَلَبْتُهُ بِالْحُجَّةِ، وَذَلِكَ الظَّرْفُ يَكُونُ عِنْدَ الْخُصُومَةِ، وَالْجَمْعُ حُجَجٌ. وَالْمَصْدَرُ الْحِجَاجُ))^(٣) وفي ذلك يمكن القول لا خطاب بلا حجاج^(٤).

الحجاج في الاصطلاح:

الحجاجُ: عملية اتصالية تستعمل من أجل التأثير في المخاطبين، وإقناعهم، وهي أحد أركان الدراسات التداولية، وهو ((فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي، لأنَّ طابعه الفكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة... وهو أيضاً جدلي؛ لأنَّ هدفه إقناعي))^(٥)، ففيه يحاول المرسل تغيير أو قلب ما كان يعتقد المتلقي، من خلال إقناعه ليتسنى له تقبل آراءه وتوجيهاته فهي طريقة يتم خلالها تقديم الحجج وعرضها^(٦)، والإقناع مرتبط بجملة أمور أهمها: جاذبية المرسل، وقوة المرسل وتأثير الرسالة ووضوحها^(٧). وللحجاج بواعث مرتبطة بالمقام والوقائع فقد يعترض المتلقي أو السامع على ما يقدمه المتكلم في خطابه من حجج أو ادعاءات^(٨). فهو استراتيجية إقناعية مادتها اللغة والغاية منها الإقناع. ونجاح الخطاب في قدرته على إقناع المتلقين فضلا عن مناسبة الحجة الملقاة للمتلقين^(٩).

(١) ينظر: لسان العرب مادة(حجج) ٢/ ٧٧٩.

(٢) المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت: ٤٥٨هـ)، تح: عبد الحميد هندواي مادة (حجج) ٢/ ٤٨٢، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

(٣) معجم مقاييس اللغة، مادة(حج) ٢/ ٣٠.

(٤) ينظر: اللسان والميزان / ٢١٣.

(٥) في أصول الحوار / ٦٥.

(٦) ينظر: بحث/ مدخل إلى الحجاج افلاطون وارسطو وشايم بيرلمان/ ١١-١٢، مجلة عالم الفكر، العدد/٢، المجلد/٤٠، ديسمبر ٢٠١١ م.

(٧) ينظر: نظريات في أساليب الإقناع، دراسة مقارنة، د: علي رزق / ٩٥-٩٦، ط١، دار الصفاة، بيروت لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤ م.

(٨) ينظر: بحث(مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، عباس حشاني / ٢٨٧، مجلة المخبر:(أبحاث في اللغة والأدب الجزائري) العدد التاسع، جامعة بسكرة -الجزائر، ٢٠١٣ م.

(٩) م. ن / ٢٧١.

وعرّف بيرلمان الحجاج بأنّه: ((عبارة عن تصور معين لقراءة الواقع اعتماداً على بعض المعطيات الخاصة بكل من المحاجج والمقام الذي ينبج هذا الخطاب))^(١) والهدف من النظرية الحجاجية ((دراسة التقنيات الخطابية الهادفة إلى إثارة الأذهان وادماجها في الأطروحة المقدّمة وتفحص شروط انطلاق الحجاج أو نموه وما ينتج عنها من آثار))^(٢) وإنّ ما يميّز الحجاج وجود متلقٍ حاضرٍ أو متخيّل، والمرسل يأتي بحجج دامغة تجاه المرسل إليه، والغرض منها إقناعه بالأطروحة المقدّمة للوصول إلى النتيجة المرجوة. ووضع (رونو بنوا) ما يميّز النص الحجاجي من غيره فأشار إلى جملة أمور لكي يكون النصُّ حجاجياً^(٣):

- ١- أن يكون النصُّ له قدرة حجاجية على التأثير في المتلقي، وقد أسماه (القصد المعلن).
 - ٢- أن يكون النص الحجاجي عارفاً بنفسية مخاطبه وثقافته ويكون حاملاً طاقةً بيانية تؤثر في المتلقين.
 - ٣- يسعى مبدع النص الحجاجي إلى البرهنة التي إليها ترد كل التقنيات كالإقناع والاستدلال ويعمل على دراسة مؤهلات المتلقي وثقافته الفكرية والعاطفية والدينية وإيمانه بالأشياء فيأخذ بعين الاعتبار المواقف فيعدّ الحجج التي يسندها بالدلائل التي تؤثر في المتلقين وتغيّر اعتقادهم. وليس كلّ خطاب حجاجياً، فالخطاب الحجاجي يظهر في أوقات الشكّ والغموض، لذا يعمد صاحب الخطاب إلى إشغال فكره من أجل كشف ما غمض عن المخاطبين والتأثير فيهم.
- وقد يستعمل المتكلم في خطابه الحجاجي تراكيب خاصة كالأمثال والحكم أو الجمل المقتبسة أو المتضمنة، يسعى من ورائها إلى إقناع المخاطبين والتأثير فيهم^(٤)، لأنّ إقناع المخاطبين من أسمى وظائف اللغة.

ثانياً: أصناف الحجاج:

١. الحجاج التقويمي: (اعتراضات الخصم)^(٥)

يقصد به: التثبت من القضايا المطروحة للاستدلال فقد يعمد المتكلم إلى ذاته فيصنع منها ذاتاً معترضة على ما يقدمه من حجج ثم يخمن ما يقدمه المعارض من أدلة فيأتي بالأدلة التي تسد الطريق أمام كل ما يقدمه المتلقي من اعتراض ويصنع من نفسه مدرعة يتوقى بها كل ما يقدمه المحاجج فيعتمد إلى وضع الاجابات لكل ادعاء ويضع في الحسبان الآليات التي لا مناص من تقبلها من قبل المتلقي، ويتعامل مع الأدلة التي يقدمها وكأنّ معترضا حقيقياً يدير الحوار فيفسر ويأتي بكل الأجوبة المحتملة لكل سؤال ممكن طرحه في ضوء عملية تفاعلية تواصلية^(٦).

(١) مفهوم الحجاج عند (بيرلمان) وتطوره في البلاغة المعاصرة محمد سالم ولد محمد الأمين / ٥٣، عالم الفكر، ع٢، مارس، ٢٠٠٠م.

(٢) بلاغة الحوار المجال والحدود، محمد العمري / ٦١.

(٣) ينظر: البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى عليه السلام، رسالة ماجستير، امحمد العربي، بإشراف، د: عبد الخالق رشيد/ ١٦، الجامعة اللسانية وهران، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩م.

(٤) التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صابر حباشة / ١٧، صفحات للدراسات والنشر، دمشق الاصدار الأول، ٢٠٠٨م.

(٥) ينظر: آليات الاستدلال الحجاجي في منهاج البلاغة وسراج الأدباء لحازم القرطاجني، خديجة كلاتمة / ١٩٧، بحث منشور في مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري - جامعة محمد خيضر - بسكرة الجزائر، العدد (٨)، ٢٠١٢م.

(٦) ينظر: اللسان والميزان / ٢٢٨.

والمرسل إليه في هذا اللون من الحجاج لا يبالي بما عند المتلقي من حجج قد يواجهه بها، أو قد يضع كثيراً من الإجابات المتوقعة في خطابه فيكسوها حججا، أي يضع تلك الحجج في حسابانه فتصبح أساسا يبنى عليه خطابه^(١) والغاية التي يراعيها المرسل في خطابه الإقناع، فقد يسعى جاهدا إلى تمحيص حججه، وصياغتها ليتسنى له تفنيد حجج المتلقين ومعارضتها بالحجج التي يتوقعها فلا يتمسك بهذه الحجج إلا إذا تتبأ بقبول خطابه^(٢). والعملية التي تكتنف الحجاج التقويمي أطلق عليها (إيميرن وتندورست) الحوار الضمني والغاية منه درء الشك المتوقع من المرسل إليه^(٣) ويكون المرسل أخذا بقواعد التخاطب لا سيما التآدب مع المخاطبين.

والمتنبي في حجاجه يحاور مخاطبه في ضوء المعارف المشتركة بينه وبين متلقيه، ولولا هذه المعارف لتوقف الحوار ولأصبح غير مفهوم^(٤). وفي هذا اللون من الحجاج يركز المتكلم على سعة معرفته بالموضوع فيستبق اعتراضات المتلقين ثم يعمل على دحضها بحجج في الخطاب ذاته^(٥). ومما جاء في خطاب المتنبي من أنماط الحجاج التقويمي قوله في مدح كافور^(٦):

إِذَا تَرَكَ الْإِنْسَانَ أَهْلًا وَرَاءَهُ وَيَمَمَّ كَافُورًا فَمَا يَتَغَرَّبُ

فَتَى يَمَلَأُ الْأَفْعَالَ رَأْيًا وَحِكْمَةً وَبَادِرَةً أَحْيَانَ يَرْضَى وَيَغْضَبُ

حاور ابن جني المتنبي عندما قرأ عليه القصيدة، فلما انتهى إلى البيت اعترض عليه فقال: ((يَعَزُّ عَلِيٌّ أَنْ يَكُونَ هَذَا الشَّعْرُ فِي مَمْدُوحٍ غَيْرِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ)) فكانت حجتة أن قال: ((حَدْرُنَاهُ وَأَنْدَرْنَاهُ، فَمَا نَفَعُ فِيهِ الْحَدْرُ... فَهُوَ الَّذِي أَعْطَانِي لِكَافُورٍ بِسُوءِ تَدْبِيرِهِ، وَقَلَّةِ تَمْيِيزِهِ))^(٧). رأى ابن جني أن المتكلم يكثر من الحجاج لصحبته كافورا، وكأنه يريد بيان خطيئة سيف الدولة في الابتعاد عن المتنبي والتفريط به.

فيقدم حججه منها: أن قوله وفعله متساويان، ولم يكتف بذلك فبين ابن جني أنه اعتمد على آلية الاستعارة في قوله: (يملاً الأفعال رأياً وحكمة) التي بها يقوى الخطاب في المبالغة^(٨).

أمّا الحجاج التي قدّمها للمعترضين سواء أكانوا حاضرين أم غائبين؟ هي أن ممدوحه لا يستوحش عنده من بعد عن أحبته فكأنه فيهم، لما يرى من كرمه وبره، لذا فهو لم يسافر إلى غيره^(٩).

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب / ٤٧٠.

(٢) ينظر: م. ن / ٤٧٣.

(٣) ينظر: م. ن / ٤٧٣.

(٤) ينظر: م. ن / ٤٦٦.

(٥) ينظر: استراتيجيات الخطاب / ٤٧٣.

(٦) ينظر: الفسر المجلد الأول / ٥٦٣.

(٧) الصبح المنبي / ١٠٠.

(٨) ينظر: لفسر المجلد الأول / ٥٧٢.

(٩) ينظر: الفسر المجلد الأول / ٥٧١-٥٧٢. وشرح الواحدي / ٦٦٣/٢.

أما الواحدي فيرى أن أفعاله ملئت عقلاً وزادت حكمةً، فالناظر لأفعاله يحسُّ برجاحة عقله في الرضا والغضب، وإن نظرت إلى أفعاله وجدت أنها نادرة فهو غير مسبوق بالفعل^(١). فقد اتخذ المنتبّي اللغة وسيلة في تسويغ آرائه التي استخرجها من واقعه الحيّ، فقد استند إلى العقل لجعل جميع حججه مقبولة، فضلاً عن المعلومات المشتركة بين طرفي الخطاب، فقد قدّم حججاً لفظية (إذا يمم كافورا، فما يتغرب). وفي ضوء ذلك فقد قدم المنتبّي جميع حججه لتؤدي إلى نتيجة واحدة وهي بيان فضل كافور على من سواه، فالغاية التي توصل إليها صاحب الخطاب من وراء خطابه الحجاجي إقناع مخاطبيه وحملهم إلى الأخذ باعتقاده الذي يقضي (أنّ كافورا أفضل الناس). ويتميز خطاب المتكلم بجملة أمور أهمها:

١. محاولة إقناع مخاطبيه ويطلق عليه القصد المعلن^(٢).

٢. التدرج في تقديم الحجج في قوله: (لو ترك الناس الأهل فهناك كهف وهو كافور فما يتغرب) والغاية منه التأثير في المتلقين وإقناعهم من خلال الدقة في تقصّي الحجج كي تتسم بالقبول والتأثير وهو ما أسماه بالتناغم، ونجد المنتبّي مستثمراً ما يداعب وجدان المتلقي وحالته النفسية من أجل تحقيق التأثير المبتغى.

٣. قدم المنتبّي استدلالات كثيرة من أجل توكيد أن كافوراً هو الذي يستحق وإثباتها المدح من أجل إقناع المخاطبين وامتناعهم عقلاً وشعوراً وهذا أطلق عليه الاستدلال^(٣).

٤. المنتبّي صاغ خطابه الحجاجي على شكل حوار قائم على علاقة بين طرفي الخطاب متكلم (باث) ومخاطب، لعلمه أنّ الحوار من أنجع الوسائل للتأثير في مخاطبيه، ولبيان صدقه في تقديم حججه وإشراكهم في معرفة نوافع حجاجه. وقد ركز صاحب الخطاب على قضايا مهمة في الحجاج وهي قراءة وجوه مستمعيه ومعرفة تساؤلاتهم (عن تركه سيف الدولة)، لذا كان حجاجه إيضاح ما يدور بخواطرهم من إجابات.

٥. نظر المنتبّي إلى الافتراضات المسبقة التي عاشها إلى جنب سيف الدولة وفي ضوء ذلك خطّط لوضع حججه على أرضية يحسُّ بها المخاطبون يعلو عليها صاحب الخطاب. ونجد ذلك التخطيط في استهلاله القصيدة، إذ يقول فيها:

أغالبُ فيكَ الشَّوقَ والشَّوقُ أغلبُ وأعجبُ منْ ذا الهجرِ والوصلُ أعجبُ

واستعمل المنتبّي صيغة المفاعلة (أغالب) حجةً له لإعلامه أنّ شوقه إلى كافور أعلى من شوقه إلى من يظن المتلقي.

وأرى فيه تلميحا لا يخفى على حصيف أنّه متعجّب من تركه سيف الدولة (ذا الهجر) و وصله كافورا (والوصل أعجب).

(١) شرح الواحدي ٢/٦٦٣. اعتمد رواية (نادرة).

(٢) ينظر: الحجاج في الشعر العربي القديم / ٢٦.

(٣) ينظر: عندما نتواصل نغير / ١٢٦.

٦. اللغة التي اعتمدها المتكلم كانت واضحة فضلاً عن انتقائه لحججه وملائمتها للموقف الحي من لدن المنتبى وسوء علاقته بسيف الدولة ناهيك عن ملائمتها لوضعية المتلقي (كافور) الذي كان يتمنى مجيء المنتبى ومدحه إياه، وهذا الانتقاء يمثل غاية الخطاب^(١) مثال انتقائه (وَيَمَّ كَافُوراً، مَا يَتَّعَرَّبُ، يَمَلُّ الْأَفْعَالَ رَأْيَا وَحِكْمَةً) وجميعها حجج بالغة تؤدي إلى الإقناع^(٢).

ومن الحجاج التقويمي خطابه الذي بُني على اعتراض معترض يخاطبه لم تركت سيف الدولة وتوجهت إلى مصر؟ فجاء بحججه سواء أكان المعترض حقيقياً أم مفترضاً، في قصيدته^(٣):

قَالُوا: هَجَرْتَ إِلَيْهِ الْغَيْثَ! قُلْتُ لَهُمْ: إِلَى غَيْوْتِ يَدِيهِ وَالشَّابِّبِ

إِلَى الَّذِي تَهَبُّ الدَّوَلَاتِ رَاحَتُهُ وَلَا يَمُنُّ عَلَى آثَارِ مَوْهُوبِ

الحجج التي أفاد منها صاحب الخطاب وهي تعريض ظاهر بسيف الدولة، فبعد الإغراق في المدح جاء بحججه لمن عاتبة على تركه إياه واللجوء إلى كافور. وهي: تركته لأنه يعطي القليل وغيره يعطي الكثير^(٤) وهذا بعيد عن شخص سيف الدولة فضلاً عن أن المنتبى لم ينكر يوماً كرم سيف الدولة، وبذلك لم يوفق ابن جني في بيان المعنى من وراء حجاجه. وذكر أبو المرشد المعري أن ابن فورجة أنكر على ابن جني تفسيره. ولكن السياق يدل على أنه هجر الكثير إلى الأكثر^(٥). أما الواحدي فقد نقل عن ابن فورجة عتبهم عليه لم تركت غيث (العراق) ورحلت إلى بلد قليل الغيث؟ فجاءت حجته أن غيث يديه عوض عن غيث غيره القليل^(٦). ذكر المعري الأفعال الإنجازية غير المباشرة من وراء خطابه الحجاجي في الترك هي^(٧): ١. إن كافوراً يهب الدولات والولايات. ٢. لا يتبع ما يهب مناً. ومن وراء هذا الحجاج أراد الوصول إلى استنتاج نهائي لخطابه الذي فيه حقيقتان:

أ. تنبيه كافور إلى أنه يستطيع تدبير أمر الولاية.

ب. تذكير سيف الدول بمنه عند العطاء، ففي خطابه تعريضاً الأول بسيف الدولة والآخر بكافور.

ومن تتابع الحجج وتواليها على من أنكر عليه هجره سيف الدولة قوله:

وَلَا يُفَزَعُ مَوْفُوراً بِمَكْرُوبِ

وَلَا يَرُوعُ بِمَغْدُورٍ بِهِ أَحَدًا

مَا فِي السَّوَابِقِ مِنْ جَرِيٍّ وَتَقْرِيْبِ

وَجَدْتُ أَنْفَعَ مَا لَكُنْتُ أَذْخِرُهُ

(١) ينظر: الحجاج في الشعر العربي القديم / ٣٠.

(٢) ينظر: الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله بحث، د: رضوان الرقيب (باحث مغربي) / ٦٩، مجلة عالم الفكر العدد/ ٢، المجلد ٤٠، أكتوبر، ٢٠١١م.

(٣) ينظر: الفسر المجلد الأول / ٥٣٢، وشرح الواحدي / ٢ / ٦٣٣، ومعجز أحمد / ٤ / ٤١.

(٤) الفسر المجلد الأول / ٥٥٥.

(٥) تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المنتبى، أبو المرشد المعري / ٤٨-٤٩

(٦) شرح الواحدي / ٢ / ٦٣٨.

(٧) معجز احمد / ٤ / ٥٣.

لَمَّا رَأَيْنَ صُرُوفَ الدَّهْرِ تَغْدُرُ بِي وَفَيْنَ لِي وَوَقَّتْ صُمُّ الْأَنْبَابِ

رأى ابن جني والواحدى أن كافورا حسنُ السيرة في رعيته فهو لا يبادر بالإساءة إلى أحد من أصحابه^(١) ولما كان كذلك فلا بد من التوجه نحوه، فقد ((جعل جري الخيل أفع مال كان يدخره لأنها حملته إلى الممدوح وأخرجته من بين الغادرين به))^(٢)، لذا أسرع بدابته نحوه كي تخرجه من بين الغادرين به، وهذا تعريض وحجة لسبب الهجر، لأن أهلَ زمانِي غدروا بي ولكن الخيل والرماح وقت لي أي أوصلتني إلى ما أريد^(٣).

ويتضح لنا أن صاحب الخطاب في خطابه التقويمي عمد إلى إقناع مخاطبيه من خلال استراتيجية اتبعها وهي (الاستدراج): وهذا اللفظ ((إنما يطلق على بعض أساليب الكلام، وهو ما يكون موضوعاً لتقريب المخاطب والتلطف به والاحتيال عليه بالإذعان إلى المقصود منه ومساعدته له بالقول الرقيق والعبارة الرشيقة، كما يحتال على خصمه عند الجدل والمناظرة بأنواع الإلزامات، والانتماء إليه بفنون الإفحامات، ليكون مسرعاً إلى قبول المسألة والعمل عليها))^(٤) ومعناه تقريب المخاطب والتلطف به من أجل السيطرة عليه وجعله مدعناً وذلك بالتلطف به في مدحه من خلال استعمال العبارة الرشيقة المؤثرة فيه، والتأدب في الاستعمال اللغوي، فكلما كان الخطاب أكثر تأديباً كان أكثر حجاجاً، وفي ضوء ذلك يمكن عدّ الاستدراج آلية من آليات الإقناع.

٢. الحجاج التوجيهي:

المقصود بالحجاج التوجيهي: وفيه يكتفي المرسل بتنظيم خطابه والاهتمام بقصده، فلا يحاول أن يضع مرسلاً إليه أمامه أو يتخيل اعتراضاته فيدحضها، ولا يقيم وزناً لمخاطبه ولا يهمله إلا حججه التي يريد إيصالها إياه شريطة أن تكون أفعاله مساوية لأقواله^(٥)، وهذا اللون من الحجاج أشار إليه د. طه عبد الرحمن بأنه يحق للمخاطب الاعتراض على الخطاب^(٦) ومثاله قول المتنبي في أو أن الشبيبة^(٧):

أنا تَرِبُ النَّدى وَرَبُّ القوافي وسمام العدا وَغَيْظُ الحسودِ

أنا في أمة تداركها الله له غريب كصالح في نمودِ

وقوله على لسان بعض التتوخيين^(٨):

أنا ابنُ اللِّقاءِ أنا ابنُ السَّخاءِ أنا ابنُ الضَّرابِ أنا ابنُ الطَّعانِ

(١) ينظر: الفسر المجلد الأول/ ٥٥٦-٥٥٧، وشرح الواحدى ٢/ ٦٣٨.

(٢) شرح الواحدى ٢/ ٦٣٨.

(٣) ينظر: الفسر المجلد الأول/ ٥٥٦-٥٥٧، وشرح الواحدى ٢/ ٦٣٨.

(٤) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ٢/ ١٤٩.

(٥) ينظر: اللسان والميزان والتكوثر العقلي/ ٢٢٧ واستراتيجيات الخطاب / ٤٧٠-٤٧١.

(٦) ينظر: م-ن/ ٢٢٧.

(٧) ينظر: الفسر المجلد الأول/ ٨٩١.

(٨) ينظر: م-ن/ ٦٥٠.

أنا ابنُ الفَيَافِي أنا ابنُ القَوَافِي أنا ابنُ السُّرُوجِ أنا ابنُ الرِّعَانِ

طَوِيلُ النَّجَادِ طَوِيلُ العِمَادِ طَوِيلُ القَنَاقَةِ طَوِيلُ السَّنَانِ

رأى ابن جني والواحدى أنَّ المتنبى أورد عددا من الحجج التي تصدرتها أحد رموز الإشارات الدالة على الذات وهي (أنا) التي حاول بها صاحب الخطاب إقناع من حوله على ما ادعاه، وهو لم يضع فيها وزنا للمرسل إليه على الرغم من وجود مَنْ هُم أعلى شأنًا منه كالأمرء؛ لأنَّ اهتمامه كان منصبا على بناء خطابه، وقد استعان في إيراد حججه بحرف العطف (الواو) أو بدونها فقد كانت كل حجة تشد الحجج التي تليها وتقويها، معتمدا على آلية اختيار الحجج وجعلها واحدة قوية في وجه المخاطبين^(١).

ثالثا: التأثير والإقناع (الفاعلية الحجاجية):

بما أنَّ الحجاج تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى، يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر بمثابة النتائج التي تستنتج منها^(٢).

فالحجاج يفرض على المخاطب نمطا معينًا من النتائج بوصفه الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير فيه الحوار. والقيمة الحجاجية لقول ما، هي نوع من الإلزام تعلق بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب بخصوص تناميته واستمراره^(٣).

وفي كثير من الخطابات الشعرية عند المتنبى يلجأ فيها إلى جعل خطابه حجاجيا فاعلا ومؤثرا ومقنعا في الجماعة المتلقية له، ومراعي ظروف الخطاب ومقتضيات الأحوال، لأنَّ الهدف منه إقناعي والطابع من ورائه فكري واجتماعي، والمتكلم يراعي في خطابه قدرة المخاطب^(٤) ونجد الفاعليات الحجاجية في شعر المتنبى في بعض المقامات التي حاول فيها متكلم الخطاب تغيير اعتقاد المخاطب، فالمتنبى قدم حججا كثيرة من أجل ذلك، لاسيما حينما حاولت بعض القبائل الخروج على سيف الدولة^(٥). ومن الوسائل الحجاجية الفاعلة التي اتبعتها المتنبى في استمالة المخاطب:

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب/٤٧٣.

(٢) ينظر: اللغة والحجاج/ ١٦.

(٣) في أصول الحوار وتجديد الكلام / ٦٥.

(٤) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام / ٦٥.

(٥) هناك قصيدتان (١٠٠ و ١٥٠) حاول المتنبى استمالة سيف الدولة من أجل العفو عن الثائرين. القصيدة (١٠٠): (قال أبو الطيب هذه القصيدة، إلا أنه لم يذكر المنازل، ولا وصف الواقعة؛ لأنه لم يشهدا، فشرحها له سيف الدولة، وسأله أن يصفها) معجز أحمد ٣/ ٤٦٤.

١. الاجادة في استهلال قصائده ٢. المبالغة في المدح ٣. كثرة الحجج ٤. وصفه بصفات توافق المقام لاسيما صفتي العفو والحلم ٥. بيان أن العفو عند المقدرة من مكارم الاخلاق ٦. بيان أن الإبقاء عليهم أفضل من الفتك بهم. وذلك في قوله^(١):

طَوَّالٌ قَنَّا تَطَاعِنَهَا قِصَارُ وَقَطْرُكَ فِي وَغَى وَنَدَى بَحَارُ

أشار ابن جني والواحيدي إلى أن صاحب الخطاب جاء بمقدمة توافق المقام، فهي المحور الذي بنى عليه خطابه؛ لأنه لم يكن اختياره إياها اعتباطاً بل اختيار مقصود، فقدّم هذا الاستهلال على أنه دليل أو حجة تخدم النتيجة المبتغاة^(٢) (العفو) فقال: وإن كانت رماح أعدائك تتسم بالطول لكنها تقصر أمامك، لضعفها عن مواجهتك؛ لأنّ أيديهم تضعف وترتجف عند ملاقاتك، فليس لرمحهم من أثر فيك، وكأنها مع طولها قصيرة، ومن ثم عرج على كرم الممدوح وجعل منه حجة من أجل إقناعه للعفو عنهم، فعقد موازنة بين عطاء غيره وعطاء الممدوح فكان عطاء غيره، كقطرة في بحر، وكذلك القليل من حربك كثير بالإضافة إلى حرب غيرك^(٣). والحجة الثانية التي قدمها أنّ هذه القبائل ما انقادت إلا إليك فقال^(٤):

وَمَا انْقَادَتْ لغيرِكَ فِي زَمَانٍ فَتَدْرِي مَا المَقَادَةُ وَالصَّغَارُ

رأى الواحيدي أنّه يخاطب سيف الدولة ويمدحه بقوله: إنّ نزار ما انقادت لأمير غيرك في الأزمان المنصرمة، وما عرفت الانقياد لغيرك^(٥).

وَكُنْتَ السيفَ قائِماً إِلَيْهِمْ وَفِي الأَعْدَاءِ حَذْكَ وَالغِرَارُ

رأى ابن جني والواحيدي أنّ صاحب الخطاب يريد: وكنت سيّفاً لهم تدافع عنهم، وتبعد عنهم الأعداء، وهم آمنون بك ولكنهم شقوا العصا بخروجهم هذا^(٦). وهذه تعد مقدمة لحسن استمالة قلبه من أجل تحصيل النتيجة المرجوة فقال:

وظَلَّ الطَّعْنُ فِي الخَيْلَيْنِ خُلْساً كَأَنَّ المَوْتَ بَيْنَهُمَا اختِصَارُ
مَضَوْا مُتَسَابِقِي الأَعْضَاءِ فِيهِ لأرؤُسِهِمْ بِأرْجُلِهِمْ عِثَارُ

رأى ابن جني والواحيدي أنّ الطعن بين خيل الخارجين وخيل الممدوح ظل خلساً، أي سريعا دليل على ثقافة الطاعن، فأسرع فيهم الموت اختصاراً فرد كثرة عدوهم قلة^(٧) يريد لقوة جيش الممدوح أصبح الموت حاصدا لأرواح الأعداء فهو يقلل من عدد جيش العدو بسرعة. ثم وصف حال بني كلب في ذلك القتال فهم

(١) ينظر: الفسر المجلد الثاني / ٥٥.

(٢) ينظر: الخطاب والحجاج، أبو بكر العزاوي / ٤١.

(٣) ينظر: الفسر المجلد الثاني / ٥٥. وشرح الواحيدي ٥٦٨/٢.

(٤) ينظر: من / ٥٧.

(٥) شرح الواحيدي ٥٦٨ / ٢. وينظر معجز أحمد ٤٦٥ / ٣.

(٦) ينظر: الفسر المجلد الثاني / ٦٢، وشرح الوحيدي ٥٦٨ / ٢.

(٧) ينظر: من / ٦٧، والواحيدي ٥٧٠ / ٢.

مضوا فراراً فالرأس يسابق الرجل، قال ابن جنبي: ((وهذا غير المعهود من حال العنثار؛ لأنَّ المعهود أن تعثر الرجل لا الرأس، فأعرب فيه ووافق الصواب))^(١)

ويرى الواحدي: ((أنهم لما هربوا صار الرأس يسابق الرجل والرجل تسابق الرأس اسرعا في الهرب وخوفا من القتل، فهو يصف هيئة المنهزم فهو يقدم رأسه على رجليه للحفاظ على رأسه))^(٢).

ووصف المتنبي جيش الأعداء بقوته فقال:

فكانوا الأسد ليس لها مصالٌ على طيرٍ وليس لها مطارٌ

رأى ابن جنبي أنَّ جيشهم قبل خروجهم عليه كانوا أسدا في بأسهم وشدتهم، ((فلما غضبت عليهم وقصدتهم لم تكن لهم صولة لضعفهم، ولم يقدروا على الطيران، فأهلكتهم))^(٣). ورأى المهلب أن ابن جنبي لم يأت بطائل في شرحه فعنده الضمير المتصل بـ(كان) يعود على جيش سيف الدولة، فجعلهم أسودا وجيش الخارجين هربوا كالطير. فلم تستطع الأسد لحاق الجيش المنهزم المشبه بالطير^(٤). ومن حججه التي بثها في خطابه بيان صلة القرابة بين الممدوح والخارجين عليه، استعطافا، وتلك حجة خفية، وبهذا فقد وزع أدلته فاختار مقدمة القصيدة أقوى حجة وتبعها بالعرض فقال:

هُم مِّنْ أَدَمَ لَهُمْ عَلَيْهِ كَرِيمُ الْعَرَقِ وَالْحَسَبِ النُّضَارُ
لَهُمْ حَقٌّ بِشْرِكَ فِي نِزَارٍ وَأَدْنَى الشَّرِكِ فِي نَسَبِ جَوَارٍ

رأى ابن جنبي والواحدى أنَّ صاحب الخطاب جاء بحجج مبتكرة أراد من خلالها أحداث هزة عنيفة أو ردة فعل تناسب الحدث الجلل (استئصال المتمردين) الذي أقدم عليه (المخاطب)، فكانت حجته لاستمالة قلبه ببيان كرم أصله وصحة حسبه إذ صيرهم في ذمامه^(٥).

خص صاحب الخطاب ((بني كعب بن ربيعة يجمعهم وإياك نزار بن معد، وهذا النسب وإن بعد، فحرمته لا تدفع، ورحمة لا تقطع، وأدنى الاشتراك في النسب، جوار لا يحقر، وشافع لا يحتقر))^(٦). وكذلك بنو نمير الذين يجمعهم به نسب عريق لأنهم من بني عامر بن صعصعة فأراد استعطافه عليهم^(٧). فأشار إلى حجة بالغة نابغة من ثقافة سيف الدولة العربي الأصل، وهي ((أن حفظ سيف الدولة لقرابتهم أوجب لهم صفحه، ومراعاته فيهم لذلك ضمن لهم عفو))^(٨). وما يتسم به هذا الخطاب صدق الشاعر ومعاناته في سعيه إلى تبليغ خطابه هذا الذي يعد حجة؛ لأنَّ الغاية التي يريد إثباتها ليست سهلة أو مجرد كلام لا يراد من ورائه

(١) ينظر: الفسر المجلد الثاني / ٦٧.

(٢) شرح الواحدي ٢ / ٥٧٠.

(٣) الفسر المجلد الثاني / ٨١.

(٤) المآخذ ٤ / ٦٠.

(٥) ينظر: الفسر المجلد الثاني / ٨٤.

(٦) شرح معاني شعر المتنبي، ابن الإقبلي ٢ / ٣١٨.

(٧) ينظر: م. ن / ٩٥.

(٨) ابن الإقبلي ٢ / ٢١٤.

إنجاز فعل، فكلما كان الخطاب يتسم بصدق المشاعر كان أكثر حجاجاً^(١). وباستحضاره النسب العريق للممدوح أراد مزاجية الأمايب بأساليب الإقناع وهذا أقدر على التأثير في سلوكيات المخاطبين وتوجيهها بالاتجاه المراد^(٢)، فقد أوصل المتنبي رسالته الإقناعية للمخاطب دون إكراه أو اغصاب أو استتارة، وصدق العسكري حين أوضح أهمية الشعر في الإقناع فقال: ومنه ((ما تعطف به القلوب النافرة، ويؤنس القلوب المستوحشة، وتلين به العريكة الأبيّة المستعصبة، ويبلغ به الحاجة، وتقام به الحجة؛ فتخلص نفسك من العيب، ويلزم صاحبك الذنب، من غير أن تهيجه وتقلقه، وتستدعي غضبه، وتستثير حفيظته))^(٣). وفي هذا ردّ واضح على الذين زعموا أنّ الشعر لا يستعمل في الإقناع، لاعتقادهم أنّ الشعر مرتبط بالعواطف والخيال، والجدل مرتبط بالخطاب النثري قال القاضي الجرجاني: ((والشعر لا يحبب إلى النفوس بالنظر والمحاكاة، ولا يحلّي الصدور بالجدال والمقايسة؛ وإنما يعطفها عليه القبول والطلاوة، ويقربه منها الرونق والحلاوة؛ وقد يكون الشيء متقناً محكماً، ولا يكون حلواً مقبولاً، ويكون جيداً وثيقاً، وإن لم يكن لطيفاً رشيقاً))^(٤)، والدراسات الحجاجية أثبتت دور الشعر في الإقناع والتأثير في المتلقين.

ومن حججه التي جعلها كطعم للمخاطب من أجل العفو عنهم قوله:

لَعَلَّ بَيْنَهُمْ لِبَيْتِكَ جُنْدٌ فَأَوْلُ فُرْحِ الْخَيْلِ الْمَهَارُ

لم يوفق ابن جني في بيان الحجة التي ساقها صاحب الخطاب، واكتفى بقوله: ((الأمور الكبار أوائلها الصغار))^(٥)، بل نرى الواحدي توصل إليها فرأى أنّ هذا البيت حجة، فقال: ((يستعطفه عليهم ويحشّهُ على العفو عنهم يقول: لعل أبناءهم يكونون جنداً لأبنائك والمهار من الخيل هي التي تصير فُرْحاً))^(٦) فنجد التناسب الحاصل بين المقام والمقال الذي اتكأ عليه المتنبي في بيان حال أبناء المتمردين في كونهم خدماً لأبناء المنتصر، وفيها حجة أراد من خلالها صاحب الخطاب، حثه على التريث في إنزال العقوبة فيهم إن كانوا بهذه الحال المتوقعة، فقد عالج المتنبي أفكاره بحجج وليدة المقام، فالحجاج الذي استعمله ما هو إلا ما تصوره صاحب الخطاب لقراءة الواقع، اعتماداً على معطيات المقام الذي ساعد في ولادة هذا الخطاب، ونلاحظ أنّ المتنبي أكثر من الحجج من أجل النتيجة النهائية (العفو) فهو ينتقل من حجة إلى أخرى مراعيًا المناسبة ولطف الانتقال والحال التي يريدّها، فقد بنى خطابه الحجاجي على بيان العفو في حال الاقتدار، فقال لما أوقع ببعض القبائل^(٧):

وَأَنْتَ أَيْرُ مَنْ لَوْ عَقَّ أَفْنَى وَأَعْفَى مَنْ عَقُوبَتُهُ الْبَوَارُ
وَأَقْدَرُ مَنْ يُهَيِّجُهُ انْتِصَارُ وَأَحْلَمُ مَنْ يُحْلِمُهُ اقْتِدَارُ
وَمَا فِي سَطْوَةِ الْأَرْبَابِ عَيْبٌ وَلَا فِي ذِلَّةِ الْعِبْدَانِ عَارُ

(١) ينظر: الخطاب والحجاج، العزاوي / ٣٨.

(٢) ينظر: في أصول الحوار وتجديد الكلام / ٣٨.

(٣) الصناعتين / ٥١.

(٤) الوساطة / ١٠٠.

(٥) الفسر المجلد الثاني / ٩٥.

(٦) شرح الواحدي / ٢ / ٥٧٦.

(٧) ينظر: الفسر المجلد الثاني / ٥٥.

من المسلم به في خطاب المتنبّي من أجل الوصول إلى مبتغاه يعمد إلى الإلحاح من أجل بناء قاعدة خطابه الحجاجي وذلك بقوله: ((أنت أبر الذين إذا عصوا أهلكوا وإذا كان أبرهم لم يهلك وأنت أفعى من يعاقب بالهلاك وإذا كان أفعالهم لم يهلك))^(١).

فخطابه بأقوى صيغ التحكّم بالآخرين وهي الملك المقتر بالفناء والعفو. فكلمًا أغضبه أمر جنح به كريم المقدر إلى العفو عنهم لأنّه سيدهم، وسطوته عليهم لا تعييبهم ولا في تذللهم له من عار؛ لأنّه مالكهم^(٢). وقد وصف حازم القرطاجني الحجج التي يعتمدها المتنبّي فقال: كان ((يعتمد المراوحة بين معانيه، ويضع مقنعاتها من مخيلاتها أحسن وضع، فيتم الفصول بها أحسن تنمة، ويقسم الكلام في ذلك أحسن قسمة. ويجب أن يؤتم به في ذلك، فإن مسلكه فيه أوضح المسالك))^(٣). فنجد قدرة المتنبّي الحجاجية في تقديمه حججا كثيرة وهو يلتقط الحجج التقاطا ويأخذ بعين الاعتبار سياق الاحتجاج من أجل قطع الطريق على المعترض. فقد صاغ المتنبّي الحجج التي اختارها في شكل لغوي مؤثر ليغير ما يعتقده المرسل إليه، ((لأنّ الوظيفة الأساسية للغه هي الحجاج وأنّ المعنى ذو طبيعة حجاجية))^(٤)، وفي الخطاب الحجاجي سعى المرسل إلى إقناع مخاطبيه وقد بثّها من خلال ثلاثة مكونات غير منفصلة، هي^(٥):

١. تعليمي: الملوك لا تعارض. ٢. أخلاقي: العفو طبعه في جميع الأحوال. ٣. حجاجي: اقناع مخاطبيه بأدلة موافقة للمقام. ((من خلال توظيف ثلاثة انماط أساسية من المقصدية الفكرية التي تضم مكونا تعليميا ومكونا حجاجيا، ومكونا اخلاقيا وليست هذه المكونات منفصلة عن بعضها بل إنها متداخلة على الدوام))^(٦).

المبحث الثاني: الآليات البلاغية:

عُرف الخطاب الشعري أنّ له لغة خاصة، وهي المائز عن باقي أنواع الخطاب، ففي الغالب يعمد صاحب الخطاب إلى التأثير بالمتلقين من خلال التقنن في استعماله الأساليب البيانية. فالشاعر قبل الإنشاد يأخذ بنظر الاعتبار الافتراضات المسبقة والمعارف المشتركة بين طرفي الخطاب فضلاً عن مبادئ التعاون التي قد يخرقها؛ لأنّ الشاعر كالمساحر في حدود الوزن والقافية، فيقدم الشاعر خطابه وقد يوشيه بأبهى صور البلاغة والبديع.

الأساليب البلاغية التي يأتي بها الشعراء في أثناء خطابهم الشعري تحمل طاقات حجاجية وتعد من وسائل الإقناع والتأثير في المخاطبين، فضلاً عما توفره من قدرة على إثارة المشاعر عند المتلقين وزرع بعض الأفكار التي يريد بثّها في أنفسهم لتوجيه سلوكهم نحو الجهة التي يقصدها^(٧)، وهذه العملية لا تخلو من أن يكون الخطاب موشى ببعض الأساليب البلاغية كالتشبيه والاستعارة، والكناية:

(١) شرح الواحدي ٢ / ٥٧٦.

(٢) ينظر: شرح الواحدي ٢ / ٥٧٦.

(٣) منهاج البلغاء / ١١٦.

(٤) سلطة الكلام وقوة الكلمات، أبو بكر العزاوي / ١٤٢-١٤٣، مجلة المناهل، العدد/٦٢-٦٣، وزارة الثقافة والاتصال المغربية، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، واستراتيجيات الخطاب / ٥٧.

(٥) ينظر: استراتيجيات الخطاب / ٤٦٤.

(٦) استراتيجيات الخطاب / ٤٦٤.

(٧) ينظر: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه / ١٢٠.

أولاً: التشبيه :

يأتي الشاعر بالتشبيه في خطابه لتقريب الصور -التي يراها مناسبة للمقام - إلى المتلقي ليتسنى له رؤيتها رأي العين، وكلما كانت صور التشبيه بديعة قريبة إلى تصور المخاطب ساعد ذلك على إقناعه. فالتشبيه وسيلة يستعملها المتكلم ليتسنى له الاحتجاج بها، ومن ثم بيان حججه ثم الإقناع بما يذهب إليه. والتشبيه من أكثر الأساليب البلاغية تأثيراً في نفوس المخاطبين^(١) لاعتماد النفس الإنسانية على المحسوسات، قال ابن طباطبا: ((اعلم أن العرب أودعت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات والحكم ما أحاطت به معرفتها، وأدركت عينها... فضمنت أشعارها من التشبيهات ما أدركه من ذلك عينها وحسها إلى ما في طبائعها وأنفسها))^(٢).

فلو خاطبنا امرأة وشبهناها بقولنا: أنت كطفلة بريئة، فالنتائج المترتبة على التشبيه غير النتائج إذا خاطبناها بلا تشبيه ففي التشبيه نكون قد أسرنا قلبها وأثرنا فيها، فالتشبيه حجة لنا على المخاطبة.

يعد التشبيه من أنجع وسائل التأثير في المتلقي وظيفته تقريب المعنى بما يضيف على التعبير لمسة جمالية فنية فضلاً عن وظيفته في التداول والاستعمال^(٣) ويستعمله المتكلمون في تحريك مشاعر المخاطبين؛ لأن العلاقة بين طرفي التشبيه تترك من دون إشغال فكر؛ لأنها تقوم على القياس والاستنتاج المباشر، و((أحسن التشبيه هو ما وقع بين الشئين، اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها، حتى يؤدي بهما إلى حال الاتحاد))^(٤)، وقد يعتمد صاحب الخطاب إلى جعل نفسه لا نظير له أو شبيهه، اكباراً لشأنه، في قوله يمدح سيف الدولة ويذكر وقته ببني كلاب في جمادي الآخرة سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة^(٥):

يَهْزُ الْجَيْشُ حَوْلَكَ جَانِبِيهِ كَمَا نَفَضَتْ جَنَاحِيهَا الْعُقَابُ

رأى ابن جني والواحي أن صاحب الخطاب شبه سيف الدولة بالعقاب (ملك الطيور) وهو في قلب الجيش وطرفا الجيش (ميمنته وميسرته) يحيطان بقائده كالجناحين، وهذا التشبيه يتضمن قدرة العقاب على السيطرة على جناحيه وهذه السيطرة تشبه سيطرة سيف الدولة في التحكم بجيشه^(٦)، وبراعة المتنبئ تكمن في قدرته على انتقاء مشبه بعينه وربطه بمشبه به معين فباجتماع المشبه والمشبه به تكونت صورة جمعت بين طرفي التشبيه وهي شيء جديد يكون فاعلاً في المتلقين. وهذا التشبيه يحمل قيمة حجاجية فهو يدفع المتلقي إلى الاستنتاج وربط الصورة البيانية (صورة العقاب المتحكم)، وهذه الصورة التي رسمها المبدع تدفع المتلقي إلى اكتشاف الرابط السببي أو العلاقة بين المشبه والمشبه به، مما يدعو إلى تحريك مشاعر المخاطب، وهذا

(١) ينظر: البلاغة فنونها وأقنائها، فضل حسن عباس / ١٧-١٨، ط ١٠، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥ م.

(٢) عيار الشعر، محمد نب أحمد بن طباطبا العلوي (ت ٣٢٢ هـ) تح: عبد العزيز بن ناصر المانع / ١٥، مكتبة الخانجي، القاهرة (د.ت).

(٣) ينظر: توظيف الصورة البيانية في الوضعية الإدماجية لدى تلاميذ السنة الثانية الثانوية شعبة الآداب والفلسفة، رسالة ماجستير، للطالبة: ايمان زاوي، بإشراف: د: عبد الناصر مشري / المقدمة (أ)، جامعة قاصدي مرباح - ورقلة (٢٠١٤-٢٠١٥ م).

(٤) نقد الشعر: قدامة بن جعفر بن (ت: ٣٣٧ هـ) تح: محمد عبد المنعم خفاجي / ١٢٤، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان (د.ت).

(٥) ينظر: م.ن ٥٤٣ / ٢.

(٦) ينظر: الفسر المجلد الأول / ٢٦٥ وشرح الواحي / ٥٤٣.

مرتبط بجمالية الصورة التي رسمها المتنبي، فجمالية الصورة البيانية ترفد العملية الإقناعية، ويكون تأثيرها واضحا في المتلقي، والذي أراده صاحب الخطاب بيان طاعة الجيش لقائده فهم جميعا رهن الإشارة، وتكمن حجاجية التشبيه في بيان جمالية الصورة التي رسمها المتكلم فضلا عن الدقة التي توخاها في بيان أجزاء الخطاب واتصاله ببعضه وجميع ذلك يصب في قدرته على إقناع الممدوح وتوجيهه الوجهه التي رآها تناسبه، وبذلك فالحجاج ((لا غنى له عن الجمال فالجمال يرفد العملية الإقناعية ويبسر على المتكلم ما يرومه من نفاذ إلى عوالم المتلقي الفكرية والشعورية))^(١).

وقال -أيضا - في صباه^(٢) وقد عمد إلى تفصيل المشبه:

كُلُّ خُمْصَانَةٍ أَرَقَّ مِنَ الْخَمِّ ر بِقَلْبِ أَقْسَى مِنَ الْجَلْمُودِ
ذَاتِ فَرَعٍ كَأَنَّهَا ضَرَبَ الْعَدَّ بَرُّ فِيهِ بِمَاءِ وَرْدٍ وَعَوْدُ
حَالِكٍ كَالْغُدَّافِ جِثْلٍ دُجُوجٍ أَثِيثٌ جَعْدٌ بِلَا تَجْعِيدِ
تَحْمِلُ الرِّيحُ عَنْ غَدَائِرِهِ الْمِسَّ سَكَ وَتَفَتَّرَ عَنْ شَتِيَّتِ بَرُودِ

رأى ابن جنبي والواحدي أنَّ المتكلم في كثير من الأحيان يصورُ لمتلقيه حالة من الاحساس التي اكتتفتها فيدعو متلقيه إلى الاجتهاد في تذوق ما أحس به. فبعد أن وصفها بدقة خصرها ورقة بشرتها وقسوة قلبها الذي هو أقسى من الجمود، شبَّه جمال شعرها الأسود الفاحم (دجوجي) الذي هو كلون الغراب، بطيبه إذ هو كالعنبر المخلوط بماء الورد، وهو كثير(جتل) وكثيف ملتف(أثيث). ومُجدد من دون أن يكون أحد قام بتجعيده^(٣). فصاحب الخطاب اعتمد في بناء خطابه على حجية التشبيه والغاية التي قصدها تتمثل بالإقناع والتأثير إذ عمل على تقريب مقاصده إلى المخاطب بنوع من الاثارة، فضلا عما أعطى الخطاب من السعة والتفصيل، لصفات الجمال لتلك النسوة، ثمَّ أضاف إلى تلك الصفة بياض الأسنان لإبراز اضداد الألوان. لعلمه بأن التشبيه أقرب إلى طبيعة الإنسان وحبه له، إذ نحن نشبه الشيء بشيء أقوى وأجمل ويظهر فيه وجه الشبه بصورة جلية، فقد جمع بين اللون والعطر وتأثير الريح في الغدائر لما لهذا الربط من التأثير في المخاطب، فيجعل منه ساعيا وطموحا إلى الظفر بمشاهدتهن. فقد عقد المتنبي الصلة بين شيئين(المشبه والمشبّه به) ليتمكن من بيان حجته للتأثير في مخاطبيه.

ثانيا: الاستعارة:

تكسب الاستعارة الخطاب طاقة حجاجية؛ لأنها تساعد على تحريك مشاعر المخاطب وتدفعه إلى الاقتناع بالقضية المطروحة^(٤)، لأنها غاية حجاجية يهدف من ورائها إلى تغيير في اعتقاد المخاطب سواء أكان فكريا أم دينيا أم عاطفيا^(٥)؛ لأنَّ استعمال المتكلم للخطاب الاستعاري لا سيما في المفردات أقوى من استعماله

(١) الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه / ١٢٠.

(٢) ينظر: الفسر المجلد الثاني / ٨٧٤.

(٣) ينظر: الفسر المجلد الثاني / ٨٧٩-٨٨٠.

(٤) ينظر: اللسان والميزان / ٣١٢.

(٥) ينظر: اللغة والخطاب، عمر أوكان / ١٣٤، إفريقيا الشرق المغرب، ٢٠٠١ م.

للمفردات على معناها المعجمي^(١) وفي ضوء ذلك يعمد المتكلم إلى تمحيص حججه وضبطها في ضوء الاستعارة من أجل جعلها أكثر إيضاحاً وأجلى صورة.

وقد عدَّ الدكتور طه عبد الرحمن استعمال الاساليب الاستعارية في الخطاب أقدر على إعطاء الخطاب طاقة قوية تتمثل في التفرع والتكاثر، أي تفرع المعاني وتكثيرها فضلاً عن قدرتها على تكثير ذاته الخطابية، وبذلك فالاستعارة تعطي الخطاب بعداً لا تتركه عبارة غيرها^(٢) وقد نبّه على أن القول الاستعاري^(٣): ١. قول حواري، وحواريته صفة ذاتية فيه. ٢. قول حجاجي، وحجاجيته من الصنف التفاعلي (التحاجج) ٣. قول عملي، وصفته العملية تُلزم ظاهره البياني والتخييلي. ورأى بعضهم أنَّ الاستعارة خصيصة من خصائص التفاعل الناجح والافئاع المرتجى، وليست كما نظر لها المتقدمون حين عدُّوها محسنات لفظية وزخارف قولية^(٤). وحقيقة الأمر أنَّ نظرة المتقدمين للاستعارة فاقت نظرة المحدثين، مثال ذلك قول العسكري في الخطاب الاستعاري الشعري فقال: (ما تعطف به القلوب النافرة، ويؤنس القلوب المستوحشة، وتلين به العريكة الأبيّة المستعبدة، ويبلغ به الحاجة، وتقام به الحجّة؛ فتخلص نفسك من العيب، ويلزم صاحبك الذنب، من غير أن تهيجه وتقلقه، وتستدعي غضبه، وتستثير حفيظته)^(٥).

ومن الاستعارة الحجاجية، قوله يمدحه ويذكر وقعة الحدث واصفا جيش الأعداء^(٦):

خَمِيسٌ بِشَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ زَحْفُهُ وَفِي أُنْزِ الْجُوزَاءِ مِنْهُ زَمَازِمُ

اتفق أغلب الشراح على أن صاحب الخطاب اعتمد آليّة بلاغيّة في خطابه وهي الاستعارة لأنَّ القول الاستعاري آليّة حجاجية بامتياز^(٧) لأنّه يبعث في المتلقي تخيل الصورة من أجل تأويل الخطاب للوصول به إلى المعنى الدقيق، فرأى أبو الفتح والواحدي: أن المتكلم وصف جيش الروم بكثرة وسعته في زحفه فقد ملأ المشرق والمغرب، فضلاً عن بلوغه السماء حتى أنَّ أصواته وصلت إلى أذن الجوزاء لشبهها صورة الإنسان، فجعل للجوزاء أذناً على الاستعارة (التخيل)، ليتسنى لها أن تسمع بهذا الزحف^(٨)، لأنَّ التخيل يذهب بالمتلقي مذاهب لا تعد ولا تحصى، لذلك فهو طريق واضح لافئاع المتلقين والتأثير فيهم. فالحجاج في قوله أعطى معنى جديداً صدم فيه متلقيه أو كل من لا يشاطره اعتقاده^(٩) فكان خطابه حجّة مؤثرة ومدعاة إلى شغل انتباه المخاطب وجعله مهتماً بالخطاب سائلاً عن المعنى أو قد يعمد إلى تأويل الخطاب عند عدم التوصل إلى المعنى. ومن الاستعارة قوله في المناسبة ذاتها:

(١) ينظر: الاستعارة والحجاج، ميشيل لوجيرن، ٨٧-٨٨، بحث منشور في مجلة المناظرة، المغرب، السنة الثانية، العدد/ ٤،

شوال/١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

(٢) ينظر: اللسان والميزان / ٢٩٥.

(٣) م.ن / ٣١٠.

(٤) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص / ٧٧.

(٥) الصناعيتين / ٥١.

(٦) الفسر المجلد الثالث / ٣٩٢، وشرح الواحدي ٢ / ٥٤٨.

(٧) ينظر: عندما نتواصل نغير / ١٢٠.

(٨) الفسر المجلد الثالث / ٣٩٦، وشرح الواحدي ٢ / ٥٥١.

(٩) ينظر: عندما نتواصل نغير / ١٢١.

سَقَّتْهَا الْغَمَامُ الْغُرُّ قَبْلَ نَزْوِهِ فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا سَقَّتْهَا الْجَمَاجِمُ
بَنَاهَا فَأَعْلَى وَالْقَنَا يَقْرَعُ الْقَنَا وَمَوْجُ الْمَنَابِي حَوْلَهَا مُنَاطِمُ

الملاحظ على المتنبي أنه كان بصيراً وموفقاً في النقاط الحجاج واختيارها مع مراعاته للمناسبة والسياق، ليتسنى له سد الطريق أمام المتلقين ليجدوا من حججه غاية ومادة لا يزيغون عنها باعتراضهم أو محاولتهم اضعافها أو التقليل من شأنها^(١)، وفي هذا الشأن نجد الجاحظ يركز على معرفة الحجة وعدها من البلاغة وكيفية استعمالها فقال في مفهوم البلاغة عند الهند: ((جماع البلاغة البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة. ثم قال: ومن البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة))^(٢) فقد وجد كل من ابن جني والواحدي أن صاحب الخطاب اتكأ على الاستعارة كآلية بلاغية حاول من خلالها اقناع مخاطبيه فقد قدم حجته التي النقطة ببناء صورته الاستدلالية في قوله: (سَقَّتْهَا الْجَمَاجِمُ) أراد: والمنابيا تسلب الأرواح واستعار لها موجاً متلاطماً لكثرتها كالبحر إذا تلاطمت أمواجه^(٣).

فبوساطة القول الاستعاري وسَّعَ خطابه وكَثُرَ معانيه وزاد من تعلق المخاطب بالخطاب ليتسنى له المعرفة الدقيقة بالمعاني التي ذهب إليها، واستعملها يغني الخطاب عن البنيات الضيقة للمعاني الحرفية، ويجعل الخطاب مفتوحاً على مصراعيه يحتمل جميع المعاني التي يمكن أن تدخل فيه^(٤).

فقد صور المتكلم قلعة الحدث لما كانت بحوزة الروم إذ كانت السحاب الغر -الأغزر مطراً - تسقيها الغيث، ولما انتزعها منهم سيف الدولة وقتل الروم وفسقت جماعهم كما يسقط المطر^(٥).

فقد استعار الجماجم للمطر لبيان كثرة الجماجم التي سقطت فضلاً عن الدماء التي سالت على الأرض وهذه الصورة المجازية تعدت -عند النطق بها - حدود المعنى الحرفي إلى معنى تخيلي عقلي أو إلى المعنى المستلزم، وبهذا فالصورة الاستعارية التي صنعها المتنبي جاءت في مكانها المناسب، فقد أعطت إحياءً بقوة وعظمة جيش العدو التي لم تدرك إلا من خلال استنطاق الخيال، وهذه الصورة التي رسمها دليل وحجة أضافت للخطاب قوة إقناعيه.

وقال في رثاء ابن لسيف الدولة^(٦):

وَمَا الْمَوْتُ إِلَّا سَارِقٌ دَقَّ شَخْصُهُ يَصُولُ بِلَا كَفٍّ وَيَسْعَى بِلَا رَجُلٍ
يَرُدُّ أَبُو الشَّيْبِلِ الْخَمِيسَ عَنْ ابْنِهِ وَيُسَلِّمُهُ عِنْدَ الْوَالِدَةِ لِلنَّمْلِ

(١) تحدث الدكتور رضوان الرقبي في بحثه (الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله) /مجلة عالم الفكر، العدد ٢/ المجلد / ٢٠١١/٤٠م. عن مقومات الخطابة واستعملها وهي (البصر بالحجة، وترتيب الحجج والاسلوب والعبارة)، وكان الاجدر به

وضع هذه الأقسام في مراحل تقديم الحجج. ينظر/ ٧٤-٧٥.

(٢) البيان والتبيين ١/ ٨٨.

(٣) ينظر: الفسر المجلد الثالث / ٣٩٤، وشرح الواحدي ٢ / ٥٤٩.

(٤) ينظر: الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله / ٧٤-٧٥.

(٥) الفسر المجلد الثالث / ٣٩٤.

(٦) ينظر: الفسر المجلد الثاني / ٧٢٤، وشرح الواحدي ٢ / ٤٠٨.

رأى ابن جنبي والواحدى أن المتكلم اتخذ من الاستعارة نقطة انطلاق الخطاب فجعل من الموت إنساناً سارقاً مختلساً، خفياً شخصه، ولا يمكن دفعه ولو بأشد الحيل على الاستعارة، وقوة حجاجية الاستعارة تظهر في كونه يصل من دون كف يظهرها، ويسعى من دون رجل ينقلها، وذلك أشد لبطشه، وأسرع لسعيه^(١). قيمة الاستعارة في أنها تبني صوراً حجاجية خيالية في ذهن المخاطب فتجعله يطمئن للخطاب ويبحث لنفسه عن مواطن لإقناع (سيف الدولة) بأن القاتل لا يمكن الوصول إليه من جهة، وليس المفقود هو آخر المقتولين من جهة أخرى، وهذه دعوة غير مباشرة لدفع المخاطب إلى التصبر والتجمل.

وقال في رثاء جدته لأمه^(٢):

أحْنُ إِلَى الكَأْسِ الَّتِي شَرَبْتُ بِهَا وَأَهْوَى لِمَتَوَاهَا التُّرَابَ وَمَا ضَمًّا
بَكَيْتُ عَلَيْهَا خَيْفَةً فِي حَيَاتِهَا فَذَاقَ كِلَاتَا فَقَدَ صَاحِبَهُ قُدَمًا
وَلَوْ قَتَلَ الهَجْرُ الْمُحِبِّينَ كُلَّهُمْ مَضَى بَلَدٌ بَاقٍ أَجَدَّتْ لَهُ صُرْمًا

أشار ابن جنبي والواحدى إلى أن حجج صاحب الخطاب موافقة للسياق فقد استعار (الكأس) للموت استعارة حجاجية؛ لأنه وصف حالة الفقد بصفات اختارها ورتبها وفاء منه بحقها. فوجد أن المستعار منه جسد الصفات التي استعارها للمرثية. فضلا عن استعماله لفظه (الذوق) للفقد على سبيل الاستعارة وبهذا يصح أن نقول: ((إن قوة الحجاج في المفردات تبدو في الاستعمالات الاستعارية أقوى مما نحسه عند استخدامنا لنفس المفردة بالمعنى الحقيقي))^(٣). فالاستعارة في الخطاب تعمل على تحريك وجدان المتلقي كي يكون أكثر اقناعاً، ففي استعارته (أحْنُ إِلَى الكَأْسِ) أراد الموت صورة لافته للنظر، أحدثت تغيراً واضحاً في مواقف المتلقي والتأثير فيه وهي حجة في الخطاب، فقد صور حالة فقدته لجدته، وهي حالة جديدة على الطموح العربي في التفاؤل والحياة وهذه الحالة قد تصدم المتلقي، وتهيؤه لاستقبال الخطاب وإن كان يتعارض مع خلفياته في التأسى والتجدد في أوقات المصائب^(٤).

ثم جاء بكتلة من المشاعر فخاطب المتلقين: إنني كنت أبكي عليها لبعدي وتغربي عنها فخفت أن أفقدها في حياتي، وها أنا اليوم أتكلمها وتكلمني فذاق كل منا طعم الفقد (على الاستعارة)^(٥) ويمكن عدّ العواطف حجة قوية في التأثير في المتلقين سواء أكان الخطاب شعرياً أم خطاباً يومياً؟، وقد أشار أرسطو إلى الأثر الفعال للعواطف في الخطاب ووصف صاحب الخطاب الذي يؤثر في الآخرين بالذكي^(٦).

(١) ينظر: م.ن المجلد الثاني / ٧٢٤، م.ن ٢ / ٤٠٨.

(٢) ينظر: الفسر المجلد الثالث / ٥٤٠، شرح الواحدى / ٣٦٠

(٣) الاستعارة والحجاج، ميشيل لوجيرن / ٧٨-٨٨.

(٤) ينظر: الفسر المجلد الثالث / ٥٤٤.

(٥) ينظر: م.ن المجلد الثالث / ٥٤٤، شرح الواحدى / ٣٦٠.

(٦) ينظر: منزلة العواطف في نظرية الحجاج، د. حاتم عبيد (من تونس) / ٢٤٤-٢٤٥، بحث منشور في مجلة عالم الفكر العدد / ٢،

المجلد / ٤٠، ٢٠١١م.

وقد عدَّ (م.جبلبار) العواطف جزءاً من الحجاج لا يستهان به فهو شائع في التواصل والتفاهم بين طرفي الخطاب سواء أكان مباشراً أم غير مباشرٍ يستنتجه المخاطب^(١).

ثالثاً: الكناية:

الكناية هي: محاولة المتكلم استعمال معنى معين ليبعد عن الألفاظ الصريحة التي عرفها المخاطبون إلى الألفاظ غير مباشرة^(٢). أو هي ترك التصريح في المعنى والانتقال إلى ما يلزمه^(٣) وقد ذكر السكاكي أهميتها في الخطاب ودورها في الإقناع إذ نراه يؤكد على أن وجودها في الخطاب أسمى من عدم وجودها إذ هي فن يتوخاه المتكلم من أجل استكثار الألفاظ لتدل على معانٍ أوسع^(٤). ومن أحسن الكناية قوله يمدح سيف الدولة^(٥):

فَجَازَ لَهُ حَتَّى عَلَى الشَّمْسِ حُكْمُهُ وَبَانَ لَهُ حَتَّى عَلَى الْبَدْرِ مَيْسَمُ

رأى ابن جني أن صاحب الخطاب كنى عن حُسن سيف الدولة بأنه فاق البدر حسناً^(٦) وبذلك فلم يذكر من الكناية إلا واحدة. أمّا الواحدي فرأى أنه كنى عن قدرته بقوله: (فجاز حكمه على الشمس) على معنى أنه يحكم على ما لا يجوز الحكم عليه أي أن المتكلم وصف قدرة سيف الدولة بغاية القوة ونهايتها^(٧). فقد أسهم هذا الاستعمال في تعميق الفكرة، فكان غرضه من الكناية إعطاء الصورة الشعرية مصحوبةً بدليل وحجة، فكلامه يستأثر بقلب الممدوح، ودليل لصاحب الخطاب، على صفاء طبعه وقريحته وصدقته^(٨) فضلاً عن قدرة الخطاب في التأثير والإقناع. وقد صور صاحب الخطاب المعنويات فجعلها حجة الكنائية بعد تحويلها إلى محسوسات. فاستعماله للكناية حجة لجعل المجال مفتوحاً للمتلقى أمام كل التأويلات، إذ ابتعد المتكلم عن التصريح والمباشرة ليعتد على تحريك خيال السامع وإثارة انتباهه وليجعله يتصور الحال ويقتنع به^(٩). وقال بعضهم: هذا الاستعمال مبالغ فيه، لأنه وصف المخاطب بصفات الخالق^(١٠) بقوله: (فجاز له حكمه على الشمس، وبان له ميسم على البدر).

وحقيقة الأمر أن استعماله وإن كان مبالغاً فيه لكنه يجوز له بيان قوته وحسنه، فكنايته التي لخصها بقدرته في تعطية الشمس فمتى شاء غير لونها بغبار خيله، وأخفى ضياءها بلمع سيوفه وأظهر وسمه على

(١) م. ن / ٢٥٥.

(٢) ينظر: دلائل الاعجاز / ٦٦.

(٣) ينظر: مفتاح العلوم / ٤٠٢.

(٤) علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»: أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ) / ٣٠٨، ط ٣، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٩٩٣م.

(٥) ينظر: الفسر المجلد الثالث / ٣٥١، وشرح الواحدي / ٢ / ٤٣٩.

(٦) ينظر: الفسر المجلد الثالث / ٣٥٤.

(٧) ينظر: شرح الواحدي / ٢ / ٤٤٠.

(٨) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت: ١٣٦٢هـ) ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي / ٢٩٣: المكتبة العصرية، بيروت.

(٩) ينظر: عندما نتواصل نغير ١٢٢-١٢٣.

(١٠) ينظر: المآخذ / ٢ / ١٦٩.

الدهر كله حتى على القمر على معنى إنّه يذهبُ بنوره ويسمه كما يسم الرجل دوابه وإبله^(١). ويمكن القول إنّ هذا الاستعمال (الكنائي) زيّن الخطاب وأضاف له صورة جاذبة زادت من حاجية الخطاب بتكثيفه القول، فالاستعمال الكنائي يزيد من قوة المعنى حتى يتسنى للمتكلم تمرير مواقفه واطروحاته^(٢)، وبذلك فالمتكلم في حاجه خلق صورة جديدة لبيان قوة المخاطب وشجاعته لجعل هذه الصورة محل اهتمام من قبل السامع لمشاهدتها من خلال النسيج الذي صنعه المتكلم^(٣)، فالاستعمال الكنائي أوقع في نفس السامعين والمتلقين من الإفصاح بذكر نظيره التصريحي^(٤)، فهذا الخطاب هادف موجه وصف فيه صاحب الخطاب المخاطب بالقوة والقدرة حاول من خلاله التأثير في المتلقين من أجل دفع انتقاد وجلب اعتقاد^(٥).

وقد نظر الزورني (ت ٤٤٥هـ) إلى أهمية الكناية وحجاجيتها في الخطاب وقد فاق آراء الغربيين فقال: ((وهذا هو الملح الصرف والحسن البحت والسحر الطلق والحدق المحض الذي عمله في الكناية عن النساء بالشمس، وعن العجاج بالضباب))^(٦). وفي ضوء ذلك نؤكد أنّ الكناية حجة وغاية يستعملها المتكلمون في خطاباتهم لإظهار أحاسيسهم بصورة تتباعد عن التصريح لجعلها وسيلة للتأثير في المتلقين وإقناعهم، وجعلهم يبحثون عن ذلك المعنى الذي أراده صاحب الخطاب. فالكناية تعطي الخطاب معنى وجمالاً وتأثيراً في نفوس المتلقين لا يكون له التأثير إذا جاء المتكلم بالدلالة المباشرة.

نتائج البحث:

١. حاول المتنبّي إقناع مخاطبيه من خلال التدرج في تقديم الحجج والغاية منه التأثير في المتلقين وإقناعهم من خلال الدقة في تقصي الحجج كي تتسم بالقبول والتأثير وهو ما سموه بالتناغم، ونجد المتنبّي مستثمراً ما يداعب وجدان المتلقي وحالته النفسية من أجل تحقيق التأثير المبتغى.
٢. قدم المتنبّي استدلالات كثيرة من أجل توكيد وإثبات أن كافوراً هو الذي يستحق المدح من أجل إقناع المخاطبين وامتاعهم عقلاً وشعوراً وهذا أطلق عليه الاستدلال.
٣. المتنبّي صاغ خطابه الحجاجي على شكل حوار قائم على علاقة بين طرفي الخطاب متكلم (باث) ومخاطب، لعلمه أنّ الحوار من أنجع الوسائل للتأثير في مخاطبيه، ولبيان صدقه في تقديم حججه وإشراكهم في معرفة دوافع حججه. وقد ركز صاحب الخطاب على قضايا مهمة في الحجاج وهي قراءة وجوه مستمعيه ومعرفة تساؤلاتهم، لذا كان حججه إيضاح ما يدور بخواطرهم من إجابات.
٤. اللغة التي اعتمدها المتكلم كانت واضحة فضلاً عن انتقائه لحججه وملائمتها للموقف الحيّ من لدن المتنبّي، وهذا الانتقاء يمثل غاية الخطاب.

(١) ينظر: م. ن. ١٦٩/٢.

(٢) عندما نتواصل بغير / ١٢٣.

(٣) م. ن. / ١٢٣.

(٤) ينظر: مفتاح العلوم / ٤١٣.

(٥) ينظر: عندما نتواصل بغير / ١٢٨.

(٦) قشر الفسر ٤٠/١.

٥. استعمل المتنبّي في خطابه التقويمي لإقناع مخاطبيه استراتيجياً (الاستدراج) لتقريب المخاطب والتلطف به للسيطرة عليه وجعله مدعنا وذلك بالتلطف به في مدحه من خلال استعمال العبارة الرشيفة المؤثرة فيه، والتأدب في خطابه، فكلما كان الخطاب أكثر تأدبا كان أكثر حجاجاً، وفي ضوء ذلك يمكن عدّ الاستدراج آلية من آليات الإقناع.

٦. من حججه التي بثها في خطابه بيان صلة القرابة بين الممدوح والخارجين عليه، استعطافاً، وتلك حجة خفية، وبهذا فقد وزّع أدلته فاختار مقدمة القصيدة أقوى حجةً وتبعها بالعرض.

٧. نجد قدرة المتنبّي الحجاجية في تقديمه حججا كثيرة وهو يلتقط الحجج التقاطاً ويأخذ بعين الاعتبار سياق الاحتجاج من أجل قطع الطريق على المعترض.

٨. جمالية الصورة البيانية ترفد العملية الإقناعية، ويكون تأثيرها واضحاً في المتلقي، والذي أراد صاحب الخطاب بيان طاعة الجيش لقائده فهم جميعاً رهن الإشارة، وتكمن حجاجية التشبية في بيان جمالية الصورة التي رسمها المتكلم فضلاً عن الدقة التي توخاها في بيان أجزاء الخطاب واتصاله ببعضه وجميع ذلك يصب في قدرته على إقناع الممدوح وتوجيهه الوجهه التي رآها تناسبه.

٩. ويمكن عدّ العواطف حجة قوية في التأثير في المتلقين سواء أكان الخطاب شعرياً أم خطاباً يومياً، وقد أشار أرسطو إلى الأثر الفعال للعواطف في الخطاب ووصف صاحب الخطاب الذي يؤثر في الآخرين بالذكي.

١٠. إنّ الكناية حجة وغاية يستعملها المتكلمون في خطاباتهم لإظهار أحاسيسهم بصورة تبتعد عن التصريح لجعلها وسيلة للتأثير في المتلقين وإقناعهم، وجعلهم يبحثون عن ذلك المعنى الذي أراد صاحب الخطاب.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله بحث، د: رضوان الرقبي (باحث مغربي)، مجلة عالم الفكر العدد/٢، المجلد ٤٠، أكتوبر، ٢٠١١م.

استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، عبد الهادي الشهري، دار الكتاب الجديد، طرابلس، ليبيا، ٢٠٠٤م.

الاستعارة والحجاج، ميشيل لوجيرن، بحث منشور في مجلة المناظرة، المغرب، السنة الثانية، العدد/٤، شوال/١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

بلاغة الحوار المجال والحدود/ محمد العمري.

بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فصل، عالم المعرفة (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت).

البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن حَبَّكَه الميداني الدمشقي (ت: ١٤٢٥هـ)، ط١، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

- البلاغة فنونها وأفانها، فضل حسن عباس، ط ١٠، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.
- البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى عليه السلام، رسالة ماجستير، امحمد العربي، بإشراف، د: عبد الخالق رشيد، الجامعة اللسانية وهران، المهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩م.
- التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صابر حباشة، صفحات للدراسات والنشر، دمشق الاصدار الأول، ٢٠٠٨م.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت: ١٣٦٢هـ) ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي: المكتبة العصرية، بيروت.
- الحجاج في الشعري العربي القديم بنيته وأساليبه، د. سامية الدريدي، ط ٢، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، ٢٠١١م.
- الخطاب والحجاج، د. أبو بكر العزاوي، ط ١، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر، ٢٠١٠م.
- ديوان أبي الطيب المتنبي، وفي أثناء منته، شرح الإمام العلامة الواحدي، تح: الشيخ المعلم في المدرسة الكلية البرلينية، فريدرخ ديتريصي، طبع في مدين برلين المحروسة، ١٨٤١م.
- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي لأبي العلاء المعري (معجز احمد)، تح: عبد المجيد دياب، ط ٢، دار المعارف، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- الصبح المنبي عن حثية المتنبي، يوسف البديعي الدمشقي (ت: ١٠٧٣هـ) تح: مصطفى السقا ومحمد شتا، وعبد زيادة، ط ٣، دار المعارف، ١٩٩٤م.
- الصناعتين: أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ) تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم/ ٥١، المكتبة العصرية - بيروت: ١٤١٩ هـ.
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة بن علي العلوي (ت: ٧٤٥هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، ط ١، المكتبة العصرية - بيروت، ٢٠٠٢م - ١٤٢٣هـ.
- علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»: أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ).
- عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، د. عبد السلام عشير، أفريقيا الشرق - المغرب، ٢٠٠٦م.
- عيار الشعر، أحمد بن طباطبا العلوي (ت ٣٢٢هـ) تح: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي، القاهرة (د. ت).
- الفسر، ابو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) تح: رضا رجب، ط ١، دار الينايبع، طبع، نشر، توزيع، دمشق - مزرغة - شارع الملك العادل ٢٠٠٤م.
- الفلسفة والبلاغة مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، د. عمارة ناصر، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد، ط ٢، الدار البيضاء المركز الثقافي الإنمائي ٢٠٠٠م.
- لسان العرب مادة (حج): محمد بن مكرم بن علي، ابن منظور (ت ٧١١هـ)، ط ٣، دار صادر - بيروت - ١٤١٤ هـ.
- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د: طه عبد الرحمن، ط ١، المركز الثقافي العربي ١٩٩٨م.
- اللغة والحجاج، د. أبو بكر العزاوي، ط ١، الدار البيضاء، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

- اللغة والخطاب، عمر أوكان / ١٣٤، أفريقيا الشرق، ٢٠٠١م.
- المحکم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ) تح: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.
- مدخل إلى الحجاج، أفلاطون، وأرسطو، وشايم بيرلمان، د. محمد الولي، مجلة عالم الفكر، مجلة دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد: ٢، المجلد ٤٠، الكويت، ٢٠١١.
- مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، بحث عباس حشاني/ ٢٧١، مجلة المخبر: (أبحاث في اللغة والأدب الجزائري) جامعة بسكرة - الجزائر.
- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) تح: عبد السلام محمد هارون، مادة (حج): دار الفكر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- منزلة العواطف في نظرية الحجاج، د. حاتم عبيد (من تونس)، بحث منشور في مجلة عالم الفكر العدد/ ٢، المجلد/ ٤٠، ٢٠١١م.
- منهاج البلغاء منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تح: محمد الحبيب بن خوجة، دار الكتب، الشارقة، تونس، ١٩٦٦م.
- نظريات في أساليب الإقناع، دراسة مقارنة، د: علي رزق/، ط١، دار الصفاة، بيروت لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- النقد الأدبي - دراسات نقدية حول اعجاز القرآن - صلاح الدين محمد عبد، ط١، مصر، دار الكتاب الحديث، ٢٠٠٣م.
- نقد الشعر: قدامة بن جعفر بن (ت: ٣٣٧هـ) تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان (د.ت).